المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص680-691

أفكار التحديث و"التغريب" الليبرالية في الجهود التنويرية لرفاعة الطهطاوي في مصر ويوكيتشي فوكوزاوا في اليابان

IDEAS OF LIBERAL MODERNIZATION AND "WESTERNIZATION" IN EDUCATIONAL ACTIVITIES OF R. R. AT-TAHTAWI IN EGYPT AND Y. FUKUZAWA IN JAPAN

بروينا أفندي
الأكاديمية الوطنية للعلوم باكو (أذربيجان)
pervinefendi@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/05/26
تاريخ القبول:
2022/06/05

الكلمات المفتاحية:
- ✓ رفاعة الطهطاوي
- ✓ يوكيتشي فوكوزاوا
- ✓ التنوير المصري
- ✓ الاستعمار الغربي

الملخص:

قدم المفكر المصري رفاعة رافع الطهطاوي (1801–1873) والكاتب والفيلسوف الياباني يوكيتشي فوكوزاوا (1835–1901) مساهمة كبيرة في تطوير الحياة العامة في بلدانهم، وساهموا في محاولة تبني إنجازات الحضارة الغربية من قبل مواطنيهم. كان كلاهما يعملان في التدريس والترجمة والكتابة كونوا كوكبة بارزة من الطلاب الناجحين الذين حذوا حذوهما. زار كلاهما الدول الغربية وكانا مقتنعين بالحاجة إلى استعارة وتبنى النماذج العلمية والتعليمية الغربية في المقام الأول . في حملاتهما لدراسة الحضارة الغربية، أصرّا على أهمية المعارف الغربية واللغات، ومختلف العلوم، ولكن مع مراعاة الخصوصيات الوطنية والثقافات الأصلية ومعايير السلوك الاجتماعي. وعليه دعا كلا من فوكوزاوا والطهطاوي للحفاظ على التقاليد الوطنية، فقد كانا رافضين للتقليد الأعمى للغرب. كما سعيا من جهة أخرى إلى إيجاد صيغة لتحديث مجتمعاتهم تسمح لها بالحفاظ على حرمة وحصانة الثقافة الوطنية، وتكميلها بكل ما هو ضروري للتجديد والتمكين من التكيف مع الظروف المتغيرة.

Article info

Received:
26/05/2022
Accepted:
05 /06/2022

Key words:
- ✓ Rifa'a al-Tahtawi
- ✓ Yukichi Fukuzawa
- ✓ Egyptian Enlightenment
- ✓ western colonialism

Abstract:

The Egyptian thinker Rifa'a Rafi' at-Tahtawi (1801-1873) and the japanese writer and philosopher Yukichi Fukuzawa (1835-1901) made a great contribution to the development of public life in their countries, contributing to the attempt to adopt the achievements of western civilization by their compatriots. Both were engaged in teaching, translating and writing, forming a prominent constellation of successful students who followed suit. Both visited western countries and were convinced of the need to borrow and adopt primarily western scientific and educational models. In their campaigns for the study of western civilization, they insisted on the importance of western knowledge, languages, and various sciences, but taking into account national peculiarities, indigenous cultures, and norms of social behavior. Therefore, both Fukuzawa and at-Tahtawi to preserve national traditions, as they were opposed to the blind tradition of the west. On the other hand, they sought to find a formula for the modernization of their societies that would allow them to preserve the sanctity and immunity of national culture, supplementing it with everything necessary for renewal and enabling an adaptation to the changing circumstances.

مقدمة

عرف القرن الثامن عشر بداية ظهور الفكر التنويري والتحديثي في العالم العربي وكان المنطلق هو مصر بما تحمله من تراث ثقافي وفكري، وما تزخر به من مؤسسات علمية مرموقة، وفي مقدمتها الأزهر الشريف. بما كان يبثه من فكر ديني يحمل مشروعا إصلاحيا. ولما كان الفكر العربي في هذه المرحلة يعيش حالة ضعف وتأثر بالفكر الغربي، كان لابد من التواصل مع الفكر الغربي على مستوى النخبة السياسية والفكرية، لذلك بدأت بوادر الاتصال تظهر وبالخصوص في مصر بإرسال البعثات العلمية[21]، للاطلاع على العلوم والمعارف الغربية الحديثة، وعلى الأفكار التنويرية الإصلاحية.

وكان أبرز من مثل بواكير هذه البعثات رفاعة رافع الطهطاوي؛ إذ كان يمثل جزءا من مشروع محمد علي في مصر لتنوير الأذهان. هذا في مصر رائدة الشرق في هذا المجال.

وإذا كان الشرق الأوسط ممثلا بمصر؛ قد انخرط مبكرا في البحث عن الفكر التنويري، والسعي إلى التحديث على طريقة الحداثة والتنوير في الفكر الغربي. فإن الشرق الأقصى بدوره عرف جهودا فكرية لتنوير الفكر وجلب فكرة التحديث الغربي، مثلها الفيلسوف يوكيتشي فوكوزاوا في اليابان.

وهذه الدراسة تهدف إلى تقديم قراءة تحليلية مقارنة لوجهات النظر، والأنشطة العملية لإثنين من دعاة التحديث والتنوير المعروفين في الشرق هما: رفاعة **رفاع الطهطاوي** في مصر، و**يوكيتشي فوكوزاوا** في اليابان. فقد عاش كلاهما في القرن التاسع عشر وكانا رائدين في مجال التنوير والنهضة، من حيث الدور المبتكر في المجتمع الذي لعبه كل منهما، وثانيا، ومن حيث تأثيرهما على المجال الثقافي والفكري لبلديهما.

إشكالية الدراسة: تتمحور مشكلة الدراسة فيما يأتي: **ماهي أهم الأفكار التنويرية التحديثية التي تبناها كل من المفكرين رفاعة الطهطاوي ويوكيتشي فوكوزاوا؟ وما أوجه التشابه والاختلاف بينهما؟ وإلى أي مدى نجحت هذه الأفكار في تغيير المجتمعين في مصر وفي اليابان؟**

هذه هي التساؤلات التي تسعى الدراسة للإجابة عنها. وقد تم تقسيم الدراسة إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: يتناول أفكار الطهطاوي وفكره الإصلاحي.

المحور الثاني: يتناول الأفكار الإصلاحية لدى يوكيتشي فوكوزاوا.

المحور الثالث: يتناول أوجه المقارن بينهما.

كان السؤال المطروح على عقول النخب المفكرة والحاكمة في العالم العربي والإسلامي، وفي العالم الشرقي عموما بعد ظهور الأفكار التنويرية التحديثية في العالم الغربي وتفوق الحضارة الغربية، في ظل التحديث والليبرالية على العالم الشرقي هو: **كيف السبيل إلى التوفيق بين ما ينبغي للمجتمع أن يكون عليه وبين ما هو عليه الواقع؟ وكيف يمكن الجمع بين أفكار التحديث والتنوير والمحافظة على الهوية الذاتية والأصالة؟**

انشغل الفكر العربي بفكرة التجديد والتحديث منذ وقت مبكر، فبحسب ألبرت حوراني 2001م: "**هذه القضية شغلت المفكرين المسلمين طيلة القرون الوسطى المتأخرة، فجاءت الآن حركة الاقتداء بالغرب تطرحها من جديد...**" [3].

ففي 1860م كانت قد نشأت نخبة من الموظفين والضباط والأساتذة ممن أدركوا إدراكا حادا أهمية إصلاح الإمبراطورية، واقتنعوا بأن هذا الإصلاح لن يتم إلا بتبني بعض صيغ المجتمع الأوروبي على الأقل. لم يكن بين هؤلاء في إسطنبول آنذاك سوى بعض العرب. بيد أن تأثير بيانات الإصلاح العظمى والقوانين التي نجمت عنها كان قد عم جميع أنحاء الإمبراطورية. كما أنه كان بين الموظفين العثمانيين من هذه المدرسة الفكرية من شغلوا مناصب في الولايات العربية وغيرها. ففي مصر احتل بعض المناصب رجال على شيء من التربية الفرنسية منهم إسماعيل باشا الذي تسنم العرش في 1861م[4]. وفي تونس كان خير الدين زعيم دعاة إصلاح الشباب، آخذا في احتلال مكانة مرموقة في شؤون الدولة[5] "**وهذه تعتبر بدايات مبكرة لظهور فكرة الإصلاح التنويري على نموذج الحضارة الغربية، والذي مثل طلاب مدارس الإرساليات المسيحية في لبنان وسوريا أو من بدأ ينشر الفكرة التنويرية في الصحافة والجرائد والمجلات العربية، والتي أحدثت بعض التأثير**".

لقد كانت فكرة الإصلاح بحسب حوراني: "**قد غرست جذورها بين جميع هذه الفئات التي تعرضت بشكل أو بآخر لرياح التغيير، فنمت هذه الفكرة وتجسدت في الستينات في حركة فكرية انكبت في كل شيء على معالجة مشكلة الشرق الأدنى الخاصة**"[6]، وقد كان هذا التوجه نحو الحداثة والتنوير الغربي يطرح تساؤلات وإشكالات كثيرة، لعل أكثرها إلحاحا ما يمكن أن يؤدي إليه التوجه نحو التنوير والحداثة الغربية من معارضة ورفض، ومن ثم انقسام المجتمع إلى دائرتين بدون اتصال حقيقي بينهما: "**دائرة تنحسر يوما بعد يوم، وهي الدائرة التي تسودها شرائع الإسلام ومبادئها الخلقية، ودائرة تتسع يوما بعد يوم وهي الدائرة التي تسيطر عليها المبادئ المستمدة بالاستنباط العقلي من اعتبارات المصالح الدنيوية**" ويوضح حوراني الإشكالية التي ستنجم عن هذا التوجه بالقول: "**وبتعبير آخر كان الخطر متأتيا عن نمو النزعة إلى توطيد العلمانية في مجتمع يتعارض بجوهره مع تبني العلمانية. وهذا من شانه أن يؤدي إلى انقسام يتجلى في كل ناحية من نواحي الحياة**" [7].

فكان لأفكار هؤلاء التنورين حول نظام الدولة تأثير كبير على الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية وعلى عملية تشكيل كل من مصر الجديدة واليابان الجديدة. وكلاهما يضعان لنفسهما مهمة إصلاح المجتمع جذريا، واعتماد ما هو مفيد في الغرب في بيئتهما الوطنية، فضلا عن القضاء على تلك العادات والممارسات الاجتماعية التي تعوق التنمية الناجحة.

وإذا كانت مصر والشرق الأدنى قد مثلهما في حمل لواء الفكر التحديثي الإصلاحي رفاعة الطهطاوي، فإن اليابان في الشرق الأقصى قد مثلها الكاتب والفيلسوف الياباني يوكيتشي فوكوزاوا (1835-1901) الذي حاول تقديم مساهمة معتبرة في تطوير الحياة العامة في بلده وساهم في الدعوة إلى تبني إنجازات الحضارة الغربية، واستعارة النماذج العلمية والتعليمية الغربية وتبنيها، ومحاولة التوفيق بين ذلك وبين المحافظة على مميزات

الأمة اليابانية وخصوصيتها. ومن هنا يمكن دراسة المشروعين التنويرين والمقارنة بينهما والاستفادة منهما. لذلك يحتاج هذا المشروع إلى قراءة جديدة تجلي ما يحمله من أفكار ويبين قيمتها التاريخية والواقعية.

ونبدأ أولا بالطهطاوي ومشروعه التحديثي.

1.المشروع الإصلاحي في مصر والأفكار التنويرية لدى رفاعة الطهطاوي

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تحت إدارة حاكم مصر الجديد محمد علي باشا (1805-1848) تم إحياء الحياة الثقافية والعلمية فيها: تم تنفيذ العديد من الإصلاحات على صعيد تشجيع التصنيع وتغيير الهيكل الإداري، بمساعدة الخبراء الأوروبيين. كما تم إنشاء نظام تعليمي حديث وجيش قوي [8] [9].إذ كان تنوير الأذهان من أساسيات مشروع محمد علي وابنه إبراهيم لأن الاتجاه العام في نظريات تطوير المجتمعات استقر على أنه يستحيل تطوير البنية التحتية لأي مجتمع دون إيجاد قاعدة فكرية متنورة تساهم في هذا التطوير وتخصبه، وهو ما كان يعبر عنه إبراهيم باشا في إحدى رسائله على السلطان محمود الثاني عام 1833م حين قال: "**إن محاولة النهضة لا تبدأ بتزويد الشعب بالبنطلونات الضيقة، وبدلا من البدء بالملابس كان الأولى بالباب العالي أن يهتم بتنوير الأذهان أولا**"[10]. في هذا الوقت، أطلق رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873)، وهو شخصية اجتماعية مرموقة ومنور بارز، نشاطاً فعالاً في مصر. تلقى تعليمه بالدراسة لمدة عشر سنوات في الجامعة الإسلامية بالأزهر بالقاهرة تحت رعاية عالم الدين المعروف حسن العطار، الذي أبدى اهتماما كبيرا بالعلوم الغربية[11]. في 1826-1831م واصل الطهطاوي دراسته في باريس، حيث تعرف على نظام التعليم الغربي. وبالتالي، لاحظ فرقا كبيرا بين طريقة الحياة التقدمية في فرنسا، والحالة الميؤوس منها في وطنه مصر. ووصف انطباعاته عن إقامته في البلاد في كتاب "**تخليص الإبريز في تلخيص باريس**"[12]، حيث قدم الكثير من التفاصيل المثيرة للاهتمام من حياة العاصمة والبلد بأكمله، وقبل كل شيء وصف تلك الإنجازات البارزة التي حرمت مصر منها في ذلك الوقت: التطور العارم للعلوم والحرف والطب والخدمة البريدية، والنظافة المذهلة، والأناقة والثروة للمدن الفرنسية وسكانها (في رأيه، الباريسي العادي من متوسط الدخل أغنى من أغنى تاجر القاهرة) أثار لدى الطهطاوي من ناحية، حماسة، ومن ناحية أخرى – المرارة والندم على أن وطنه مصر محروم من معظم هذه النعم. "**طوال الوقت الذي كنت فيه في هذا البلد، ندمت على أن بلاد الإسلام محرومة مما ينعم به سكان فرنسا**"[13]. وعلق الطهطاوي أهمية خاصة على وجود نظام متطور للتعليم والرعاية الصحية، فضلا عن رغبة الفرنسيين في المعرفة، وحبهم لقراءة الكتب، ومستواهم الثقافي العالي والتربية المميزة. كما كتب بشغف كبير عن النظام السياسي الفرنسي، حيث كانت سلطة الحاكم محدودة بموجب القانون، وكان المواطنون يتمتعون بحقوق غير قابلة للتصرف. ومع ذلك، كان يعتقد أنه في بعض الأمور، على وجه الخصوص، في فن الشعر، فإن العرب يتفوقون على الفرنسيين، وأنه في العصور القديمة كانت الحضارة العربية هي الأكثر تطورا، لكنها فقدت تفوقها لاحقا ويجب أن تستعيدها[14].

بعد عودته إلى الوطن، بدأ الطهطاوي بممارسة التدريس والترجمة. قام شخصيا بترجمة عدد كبير من الكتب للمؤلفين الغربيين– الكتب العلمية، بما في ذلك الأدبيات الطبية، كما أسس وأشرف على مدرسة للمترجمين لتعليم الترجمة المهنية. من خلال جهود الطهطاوي وطلابه، تمت ترجمة حوالي ألفي مؤلف لكتاب أوروبيين إلى اللغة العربية. كانت الكتب التي نشروها رخيصة للغاية على أمل أن يتمكن عامة الناس من الوصول إلى المعرف[15]. كما نال دعماً من محمد علي باشا في أنشطته التنويرية والتثقيفية[16] .

2.أهم أعمال الطهطاوي

بالإضافة إلى الترجمات، وضع الطهطاوي عددا من الأعمال المهمة. وهو تأليف سبعة كتب مكرسة لعلم التأريخ والتربية وأدب السفر، وعدد من المقالات والأعمال الشعرية. وتراث الطهطاوي الأدبي كبير جدا وكان له تأثير كبير على المثقفين المصريين في القرن التاسع عشر– أوائل القرن العشرين. وأكد الطهطاوي على الأهمية الخاصة لتطوير النظام التعليمي والتعليم الشامل، وكان من أوائل الشخصيات العربية التي أصرّت على الحاجة إلى تعليم المرأة. كما دعا إلى إدراج العلوم الغربية في نظام التعليم العلماني والديني في بلاده، معتقدا أن المؤمنين المسلمين، في المقام الأول رجال الدين، يجب أن يكونوا على دراية بإنجازات العلوم الحديثة من أجل تجنب الجهل. إن تطوير العلوم والتنوير العلمي–بحسب الطهطاوي– "**سيؤدي بالضرورة إلى رفاهية وازدهار المجتمع ونشر الحرية الحقيقية**"[17].

3. مصادر فكر التنوير عند الطهطاوي

تأثرت وجهات نظر الطهطاوي السياسية بكتابات المنورين الفرنسيين مثل بورلاماكي ومونتيسكيو وروسو، وترجم بعضها إلى العربية[18]. كان يحترم انماط وتيارات الحياة السياسية التي ظهرت في الغرب: الديمقراطية والملكية الدستورية والليبرالية. ومع ذلك، في نهاية حياته، ألف كتاباً عن الحكم في مصر، حيث أسهب بشكل إيجابي في الملكية المطلقة بحجة أن من واجبات الحاكم أن يكون حكيما وعادلا ويحترم حقوق رعاياه ويحترم الممارسات الدينية[19]. يوضح حوراني مدى تأثير الثقافة الفرنسية في فكر الطهطاوي بقوله: "**لكن تأثير باريس فيه كان أبلغ، فالأعوام الخمسة من 1826م إلى 1831م، التي قضاها هناك كانت أهم أعوام حياته، ومع أنه جاءها كإمام لا كطالب، فقد ألقى بنفسه في خضم الدراسة بحماسة ونجاح، فاكتسب معرفة دقيقة باللغة الفرنسية وبمشاكل ترجمتها إلى العربية، وطالع كتبا في التاريخ القديمة والفلسفة الإغريقية والميثولوجا والجغرافيا والرياضيات والمنطق، كما قرأ سيرة نابليون وبعض الشعر الفرنسي بما في ذلك أعمال راسين، ورسائل اللورد تشرسفيلد إلى ابنه، وكان أهم من هذا كله أنه تعرف إلى شيء من الفكر الفرنسي في القرن الثامن عشر باطلاعه على فولتير وكونياك والعقد الاجتماعي لروسو وأهم مؤلفات مونتسكيو**"، هكذا كما يرى حوراني: "**ترك عصر التنوير الفرنسي أثرا دائما في تفكيره وفي التفكير المصري بواسطته**"[20].

لقد حاول الطهطاوي إحياء فكرة المفكر العربي البارز في العصور الوسطى ابن خلدون حول التقدم الاجتماعي وجعلها الفكرة الرئيسية للتنوير المصري، واستعرض وجهات نظر المفكرين الفرنسيين المعاصرين من

أجل المزيد من الإقناع. وبشكل عام، أصبحت أفكار الطهطاوي بمثابة أساس لحركة النهضة العربية في القرن التاسع عشر؛ التي كانت تهدف إلى تحديث المجتمع المصري في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية. في هذا الوقت بالذات بدأ مفهوم "**الوطنية**" التي طرحها الطهطاوي تكتسب شعبية كبيرة[21]. ويمكن القول إن كتابات الطهطاوي بحسب حوراني: "**انطوت على أفكار جديدة أصبحت مألوفة فيما بعد في الفكر العربي والإسلامي: كالقول بأن هناك داخل الأمة الجامعة، جماعات قومية تنادي بولاء أبنائها لها، وبأن الغرض من الحكم رفاهية البشر في هذا العالم، وفي الآخرة على حد سواء، وبأن الرفاهية الإنسانية تتحقق بإنشاء المدنية التي هي الغاية الزمنية النهائية للحكم، وبأن أوروبا الحديثة، وخصوصا فرنسا، هي مثال التمدن، وبأن سر تقدم أوروبا وعظمتها يكمن في تعاطي العلوم العقيلة، وبأن المسلمين أنفسهم الذين تعاطوا العلوم العقلية قد اهملوها فتخلفوا عن ركب التقدم...**"[22]. ولعل من أهم الميادين التي لفت النظر إليها الأفكار التربوية "**فغاية التربية عنده هي تكوين الشخصية وليست مجرد حشد عقل الطلاب بكمية من المعارف، وأنها يجب أن تحمل التلاميذ على تقدير أهمية الصحة الجسدية، والعائلة وواجباتها، والصداقة، وفوق كل ذلك حب الوطن الذي هو الدافع الأكبر للناس على محاولة بناء مجتمع متمدن**"[23].

ويذكر حوراني أن الكثير من الأفكار التي تبناها الطهطاوي ودعا إليها، كان متأثرا فيها بفكر التنوير الفرنسي، ففي نظره: "**لم تكن بعض أفكار هذا العصر الرئيسية على من تربى على تراث الفكر السياسي الإسلامي، كالقول بأن الإنسان يحقق كعضو في المجتمع، وبأن الصالح المجتمع هو الذي يهيمن عليه مبدأ العدل، وبأن غاية الحكم خير المحكومين**"[24].

لقد اكتسب المفكر المصري بسبب احتكاكه بالفكر الغربي والثقافة الفرنسية الكثير من الأفكار الجديدة؛ التي حاول نشرها في بلده ودعا على تبنيها كالقول بأن: "**الشعب يمكنه، بل يجي عليه أن يشترك في عملية الحكم، وبأن من الواجب تهذيبه من أجل هذه الغاية، وبأن الشرائع يجب أن تتغير بتغير الظروف، وبأن ما كان منها صالحا في زمان أو مكان، قد لا يصلح لزمان أو مكان آخر. هذا فضلا عن فكرة الأمة التي لعله استقاها من منتسكيو الذي ألح على أهمية الظروف الجغرافية في تكوين الشرائع، مما يستلزم القول بحقيقة الجماعة المحدودة جغرافيا أي المجتمع الناسئ عن العيش في مكان واحد، والذي ذهب أيضا إلى أن قيام الدول وانهيارها يخضعان لأسباب معينة، وأن هذه الأسباب تكمن في "روح الأمة" وأن محبة الوطن أساس الفضائل السياسية**"[25]. هذه أهم الأفكار التنويرية التي تبناها الطهطاوي، ودعا إلى تبنيها وإحلالها في الحياة الاجتماعية وعدم الوقوف عندها كنظريات مجردة.

4.التوفيق بين منجزات الغرب وثقافة الشرق

يعد التوفيق بين منجزات الحضارة الغربية واصول الثقافة الشرقية من المهام الصعبة التي واجهت أغلب المفكرين التنويرين في العصور المتأخرة، لما لاقته هذه الفكرة من معارضة من قبل التيارات المحافظة، ومع ما تتميز به هذه الفكرة من تعقيدات وصعوبات إلا أن المفكر المصري رفاعة الطهطاوي كما يظهر في كتابه: "**اهتم**

اهتماما كبيرا بإشكالية الجمع بين الإنجازات الاجتماعية والاقتصادية للغرب والقيم الدينية المصرية. ودعا إلى تشجيع استعارة الإنجازات الغربية المتقدمة في مختلف مجالات الحياة، وأثبت في بعض الأحيان ضرورتها من خلال الاحتكام إلى التعاليم الإسلامية. على سبيل المثال، استدل بالقرآن والسنة عند الدفاع عن أفكار المساواة بين الناس أمام القانون وحرمة الممتلكات الخاصة والحاجة إلى وصول المرأة إلى التعليم" [26]. وقد لخص الطهطاوي أهم أفكاره في كتابه "**مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية**" فهو يشتمل على أكمل شرح لأفكار الطهطاوي وعن الطريق التي ينبغي أن يسلكها المجتمع المصري، فمن هذا الكتاب كما يقول حوراني: "**نستطيع أن نستخلص نظرية الطهطاوي في السياسة وفي طبيعة مصر ومصيرها. وما يلاحظ على أفكاره بحسب تحليل حوراني: أنها لم تكن مجرد عرض جديد للنظرة التقليدية ولا مجرد انعكاس للأفكار التي تلقنها في باريس، فمع أنه يتبع إجمالا في إخراج هذه الأفكار الطريقة التقليدية، مستشهدا في إثبات كل مسألة بالنبي والصحابة، وينظر على السلطة السياسية نظرة التفكير الإسلامي التقليدي إليها، فقد توسع في بعض النواحي توسعا جديدا وهاما**"[27].

ورغم أن الطهطاوي تأثر بالفكر الفرنسي والغربي عموما وبالمدنية الغربية في شقيها التقني المادي والعقلي الفلسفي إلا أنه لم يقل بإمكانية التوفيق الكلي بين مكونات الحضارتين الغربية والغربية الإسلامية، ومما يتحفظ عليه الطهطاوي كما يشرح حوراني بقوله: "**إن أوروبا لم تبد للطهطاوي خطرا سياسيا لكنه كان يشعر بأنها خطر خلقي؛ فالفرنسيون لا يعتقدون إلا بالعقل البشري نعم يشتمل دستورهم على مبدأ العدل، إلا أن هذا المبدأ يختلف كثيرا عن أحكام الشريعة الإلهية. هم مسيحيون بالاسم فقط أما دينهم الحقيقي فشيء يختلف تماما عن ذلك** ..."، وبناء على هذا يرى حوراني أن الطهطاوي يميل إلى القول بعدم إمكانية التوفيق بين الحضارتين في كل الجوانب، بل يقول بإمكانية الاستفادة منها في كثير من الجوانب، ويستثني من ذلك الجوانب الدينية والخلقية، فهو لا يزال مشدودا بجذوره إلى المعتقدات الموروثة، فلم يرى بوضوح سوى التناقض بين الإثنين، لا إمكانية التوفيق بينهما[28].

5. الأفكار التنويرية لدى يوكيتشي فوكوزاوا الياباني

في نفس الوقت تقريبا **(أي الذي ظهر فيه الطهطاوي)** في الطرف الآخر من العالم، في اليابان، ظهر شخص من نفس الطراز يركز اهتمامه على حل المشاكل الملحة لمجتمعه. كان يوكيتشي فوكوزاوا (1835–1901)، وهو كاتب وفيلسوف ومترجم، قريب من أفكار الطهطاوي. في ذلك الوقت، كانت البلاد تدخل للتو فترة من الإصلاحات الجذرية تحت حكم الإمبراطور ميجي (1867–1912) استرشاداً بشعار "**الروح اليابانية – المعرفة الأوروبية**". ونتيجة للتحولات المنعكسة على كل فئات المجتمع، تم تحقيق المساواة في الحقوق، وتم تنفيذ الإصلاح الزراعي والتصنيع، وتم تنفيذ الإصلاح العسكري، وتم تحديث نظام التعليم، وعلى عكس مصر، تم اعتماد نظام الدستور والبرلمان في إدارة الحكم[29].

1.5. تعليمه وأفكاره الإصلاحية

تلقى فوكوزاوا تعليمه في ناغازاكي في 1853–1855 ثم في مدرسة خاصة في أوساكا، ولاحقاً تعلم اللغة الهولندية[30]. بدأ أنشطته التعليمية بزيارة إلى الولايات المتحدة مع بعثة السفارة اليابانية (1860)، ثم أمضى عاما كاملا في السفر متردداً بين عدد من الدول الأوروبية (فرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا وألمانيا وروسيا والبرتغال)، ودرس هيكل المستشفيات والمدارس والمناجم والترسانات الأوروبية، مع اتباع نهج دقيق لدراسة الهيكل السياسي والوضع الاجتماعي والاقتصادي لهذه البلدان.

عند عودته الى اليابان قام بأعمال كثيرة من أجل تجسيد مشروعه الفكري وأفكاره الإصلاحية، ومنها: ألف كتاب "**الوضع في الغرب**" (1866–1869)[31] عن الإنجازات غير المعروفة لهذه البلدان في مختلف مجالات الحياة [32]. الكتاب أصبح من أكثر الكتب مبيعا.

وأشار فوكوزاوا إلى أن اليابان تخلفت بشكل خاص عن الدول الغربية في مجال التعليم والاقتصاد. بعد الوصول إلى لندن، أرسل رسالة إلى بيته، مؤكدا على أنه يجب على اليابان أولا تطوير التعليم، وعدم شراء المعدات والأسلحة من أوروبا[33] .

كما أنشأ أيضا مدرسة حيث قام بالتدريس، استنادا إلى الأساليب والمناهج الأوروبية ودعا الأساتذة الغربيين للعمل فيها. وحاول أن يلقن وينقل إلى طلابه كل ما يعرفه عن ثقافة وعلوم الغرب. إلى مئات، بل الآلاف من الشباب اليابانيين وليس فقط من الطبقة العليا بل جزء كبير من أولاد الفلاحين تخرجوا فيها. أصبح عدد كبير منهم في وقت لاحق رجال أعمال وسياسيين موهوبين [34].

وإذا نظرنا إلى العدد الكبير من الترجمات والمقالات والكتب، التي الفها نجد أن موضوعاتها الرئيسية تتنازل جوانب مختلفة من تحديث الدولة والمجتمع الياباني. وسمى كتابه الأكثر شهرة "**الدعوة إلى المعرفة**"[35] . وهو بذلك يهدف إلى، تشجيع المجتمع الياباني على التخلي عن تركة وإرث الإقطاع، وحثه على اكتساب المعرفة وتبنى قيم مثل الحرية والاستقلال والمساواة، بحجة أن جميع الناس يولدون متساوين[36].

وهنا نستطيع أن نلاحظ بوضوح تشابه وجهات نظر هذا المصلح مع وجهات نظر الطهطاوي الذي درس أيضا الظروف المعيشية في فرنسا باهتمام كبير واعتبر العلم والتعليم أساسا لتحديث المجتمع.

2.5. الأفكار التنويرية عند فوكوزاوا

كانت الأفكار التنويرية التي تبناها فوكوزاوا تتشابه مع أفكار الطهطاوي، في الخطوط العامة؛ فقد دعا إلى التحديث السريع لبلاده على نموذج أوروبا الغربية من أجل تحقيق الاستقلال والاكتفاء الذاتي، وغن تطلب ذلك استعارة نماذج من العلوم والتعليم الغربي، ورفع مكانة المرأة في المجتمع، مع الدعوة إلى الحفاظ على الأسس التقليدية للمجتمع والثقافة اليابانية[37].

ولكن من جهة أخرى انتقد أولئك الذين دعوا إلى الاستيعاب الطائش للقيم الغربية وتجاهل الثقافة الشرقية. وقد أثرت أنشطته المتنوعة على جميع مجالات الحياة العامة في اليابان، ووجدت رؤيته وعقليته قبولا لدى جيل

كامل من الياباني[38]. في هذا الصدد كذلك، يمكن مقارنة فوكوزاوا مع الطهطاوي – كلاهما كانا مؤلفين مثمرين للغاية وكان لهما تأثير كبير على عقول المثقفين في بيئتهما[39].

3.5. الفكر السياسي

في المجال السياسي، كان يوكيتشي فوكوزاوا مؤيدا لنظرية الانسجام في العلاقات بين الحكومة والشعب التي يمكن تحقيقها من خلال تنظيم اجتماعات في المحافظات، ومن ثم إنشاء برلمان بناءً على مقرراتها. وأعرب عن اعتقاده بأن ممثلي الطبقة الأرستقراطية والمثقفين يجب أن يكونوا الغالبية الغالبة في البرلمان. بالإضافة إلى ذلك، في نهاية حياته، بدأ المنور الياباني في إيلاء اهتمام كبير لدور الدين في المجتمع، معتبراً أنه يحافظ على الأخلاق من الانحطاط، ودافع عن طقوس تعظيم وتبجيل الإمبراطور. في الوقت نفسه، لم يكن فوكوزاوا ملتزما بأي من الأديان، ولكن على الرغم من إشادته بالقيم الغربية، فقد فضل بوضوح الأديان الشرقية على المسيحية. بشكل عام، بالمقارنة مع الطهطاوي يعلق المنور الياباني أهمية أقل– إلى حد ما –على التقاليد الوطنية. وهكذا، كان يعتقد أنه ليس من المنطقي قراءة الكتب القديمة، وكما انتقد الطقوس التقليدية للركوع، معتقدا أنها تضيع الكثير من الوقت، وذكر أن اليابان الحديثة ليس لديها مدعاة للفخر أمام الغرب في ظل التخلف الحالي.

كانت خدمات يوكيتشي فوكوزاوا في تشكل اليابان الجديدة هائلة. تقول المرثية المكتوبة على شاهد قبره: "**هنا يرقد رجل مستقل، يملك الشعور بقيمة الذات وصاحب وجهات النظر والموقف التي بفضلها كان العالم كله متاحا له**". وبالتالي، من الواضح أن هناك تشابها كبيرا جدا بين مجهودات وأفكار الطهطاوي وفوكوزاوا بكونهما منار التنوير والثقافة في بلديهما. ودعا كلاهما إلى تطوير هادف لنظام التعليم، وتحرير المرأة، وتطوير الطب والنمو الاقتصادي من أجل تحسين مستويات معيشة الناس[40]. وتُكرّس أعمالهما الأدبية الرئيسية لتحليل الوضع في الغرب وإيجاد فرص لبلديهما لاستعارة والاستفادة من الإنجازات الغربية. عاشا وعملا في وقت كانت فيه مصر واليابان تتبعان بصورة فعالة مسار التحديث من أعلى هرم السلطة: في مصر قام بها محمد علي، وفي اليابان الإمبراطور ميجي والإمبراطورة شوكين اللذان ساهما أيضا في تنظيم التعليم الحديث للمرأة مما ساهم بشكل كبير في إنشاء مدرسة كازوكو للبنات (حاليا مدرسة غاكوشوين الإعدادية والثانوية للبنات) ومدرسة طوكيو للنساء (حاليا جامعة أوشانوميزو)[41].

6. مقارنة بين أفكار الطهطاوي وفوكوزاوا

لقد بينت الدراسة أن أفكار الرجلين تتشابه في الكثير من المناحي من حيث المنطلقات والأهداف، وإن اختلفت من حيث النتائج المحققة في كلا البلدين؛ مصر واليابان، وأهم المجالات التي تتشابه فيها أفكار كلا من الطهطاوي وفوكوزاوا يمكن تلخيصها في الآتي:

بين فوكوزاوا إلى أن اليابان تخلفت بشكل خاص عن الدول الغربية في مجال التعليم والاقتصاد. لذلك يؤكدا على أنه يجب على اليابان أولا تطوير التعليم، وعدم شراء المعدات والأسلحة من أوروبا. وهي نفس الفكرة التي ألمح إليها الطهطاوي حين انتقد الجوانب الدينية والخلقية في المجتمعات الغربية وبالخصوص المجتمع الفرنسي.

وامتدح الجوانب الأخرى التي يتعين على المصريين والمجتمعات الشرقية عموما الاستعانة بها في تطوير المجتمعات.

ساهمت الجهود التنويرية الواسعة والمتنوعة التي قام بها الطهطاوي وفوكوزاوا في بلديهما في إحراز تقدم كبير وتحديث المجتمع على أساس التحفيز الفعال لتطوير الأفكار العلمية.

ودعا كلاهما إلى تطوير هادف لنظام التعليم، وتحرير المرأة، وتطوير الطب والنمو الاقتصادي من اجل تحسين مستويات معيشة الناس. كرسا أعمالهما الرئيسية لتحليل الوضع في الغرب وإيجاد فرص لبلديهما للاستعارة والاستفادة من الإنجازات الغربية.

على الرغم من وجود بعض الاختلافات في نهج كل من المنورين – على سبيل المثال، كان الطهطاوي يحترم ويكرم التقاليد الوطنية أكثر من فوكوزاوا كما أولى أهمية أكبر لدور الدين في الحياة العامة. مع أن الاتجاه العام لأنشطتهما كان متشابها للغاية.

خاتمة

لقد تبين من خلال الدراسة أن الأفكار الإصلاحية التنويرية في العالم الشرقي ظهرت منذ وقت مبكر، والجهود التي سعت على تطوير العالم الشرقي ومحاولة اللحاق بركب التطور الذي عرفته الحضارة الغربية انطلقت على أيد اثنين من كبار دعاة الإصلاح والتنوير في مصر وفي اليابان. وهما تمثلان رمزا كبيرا لحضارة الشرق في مواجهة الحضارة الغربية.

تحمل أفكار كلا من الرجلين الكثير من العناصر المتشابهة التي تدل على تأثر الثقافات ببعضها، وتشابه الهموم الإصلاحية في البلدين، كما تدل على وجود قيم إنسانية متشابهة بين الأمم الشرقية.

سعى كل من الطهطاوي وفوكوزاوا تطوير بلديهما بما يحقق النهضة واللحاق بركب التطور الحضاري الإنساني من جهة والمحافظة على الخصوصية الثقافية للبلدين من جهة ثانية.

إذا كانت أفكار فوكوزاوا قد وجدت لها موقعا في الحياة اليابانية وظهر تأثيرها في مختلف ميادين الحياة، فإن أفكار الطهطاوي لا تزال لم تجد لها الموقع المناسب في الحياة المصرية.

الهوامش:

1 - Şişman Adnan. Tanzimat Döneminde Fransa'ya Gönderilen Gayr-i Müslim Osmanlı Öğrencileri", X. Türk Tarih Kongresi, Ankara 2004. p.2.

2 - Şişman Adnan. "XIX Yüzyıl Başlarında Fransa'daki İlk Osmanlı Öğrencileri", Osmanlı 5, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara 1999. p. 245-250.

3 – ألبرت حوراني: **الفكر العربي في عصر النهضة**، دار نوفل، بيروت لبنان، 2001، ص 145.

4 - Hamed A. Ead. Globalization in higher education in Egypt in a historical context. Cairo University, Egypt 2019. p.2-3.
https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S2590051X19300036

5 – Charles Kurzman. Modernist Islam 1840–1940. Oxford University Press/ 2002. – p.40.

6 – المرجع نفسه، ص 77.

7 – المرجع نفسه، ص 145.

8 – Яковлев А. И. Очерки модернизации стран Востока и Запада в XIX–XX веках. Москва: ЛЕНАНД, 2010. – сс. 251–260.

9 – Пончаева Х. Дж. Развитие системы образования в Египте в XIX – начале XX в. Диссертация… кандидата исторических наук. СПб., – 2004, стр.12

10 – محمد كامل ظاهر: **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، دار البيروني لبنان 1994 م، ص 53.

11 – أحمد عبد الله نجم: **الخلافة الإسلامية ومناقب الخلافة العثمانية. الشيخ حسن العطار، شيخ الجامع الأزهر الأسبق**، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، 2002، ص.13.

12 – رفاعة بدوي رافع الطهطاوي: **كتاب تخليص الابريز الي تلخيص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس**. مصر.1904م. ص10–280.

13 – محمد عمارة: **الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي**، الطبعة الأولى – دار الشروق – القاهرة، الجزء الثاني، 2010، ص.17.

14 – ص. 24 же :там

15 – Левин, З.И. К вопросу о развитии общественного сознания в Египте в первой половине XIX в. (период правления Мухаммеда Али) / Арабские страны. История. Экономика. Под ред. Е.А. Беляева. М.: Наука, 1966.– с. 191.

16 – Макеев, Д.А. Интеллигенция в общественно–политическом развитии Египта (XIX – начало XX века), – Владимир: Изд–во ВлГУ, – 2019. – сс. 48–49.

17 – Livingston J. W. Western Science and Educational Reform in the Thought of Shaykh Rifa'a al–Tahtawi // International Journal of Middle East Studies, Vol. 28, № 4, 1996, – pp. 546–549.

18– محمد عمارة: المرجع السابق، ص221–222.

19 – Исмаэли Мехран. Политическая мысль Рифаа ат–Тахтави в историческом контексте Египта XIX в.: критика сложившейся интерпретации

اندیشه سیاسی رفاعه طهطاوی در بافت تاریخی مصر)

(در سده نوزدهم؛ نقدی بر قرائت رایج / Политические науки (علوم سیاسی)، Т. 7, № 65, 2014, – сс. 81–84.

20 – ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص 79.

21 – محمد عمارة. "**الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي**"، ط1– دار الشروق – القاهرة. ج1. 2010، ص155.

22 – ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص 92.

23 – المرجع نفسه، ص 88.

24 – المرجع نفسه، ص 80.

25 – المرجع نفسه، ص 80.

26 – رفاعة بدوي رافع الطهطاوي. **كتاب تخليص الابريز إلى تلخيص باريز**، مصر، 1904، ص 83.

27 – ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص 83.

28 – الطهطاوي: المرجع السابق، ص 92.

29 – Яковлев А. И. Очерки модернизации стран Востока и Запада в XIX–XX веках. М.: ЛЕНАНД, 2010. сс. 308–321.

30 – 福泽谕吉教育思想研究. 新西部 (33).（北京外国语大学马克思主义学院）ZHANG YUANXIAO, Исследование образовательной мысли Юкичи Фукудзавы , 张园晓. (2019). (北京外国语大学 | Beijing Foreign Studies University (bfsu.edu.cn))

31 – https://dcollections.lib.keio.ac.jp/ja/fukuzawa/a02/3

32 – 任金金. 为了独立:福泽谕吉教育思想研究. (Doctoral dissertation, 南京师范大学). / REN JINJIN, За независимость: Исследование образовательной мысли Юкичи Фукудзавы, Home | Nanjing Normal University (njnu.edu.cn), 一本书的一页 с. 17.

33 – Shunsaku N. Fukuzawa Yukichi / Prospects: The Quarterly Review. Of Comparative Education, UNESCO: International Bureau of Education, Vol. 23, № 3/4, 1993, pp. 494–497.

34 – 论福泽谕吉的启蒙思想. (Doctoral dissertation, 湘潭大学).指导教师：赵立坤/张嫦娥. (2004). О просветительской мысли Юкичи Фукудзавы, магистрант: Чанъэ Чжан / ZHANG CHANG'E , научный руководитель : ZHAO LIKUN, Xiangtan University (xtu.edu.cn).

35 – https://dcollections.lib.keio.ac.jp/ja/fukuzawa/a15/42

36 – 任金金. 为了独立:福泽谕吉教育思想研究. (Doctoral dissertation, 南京师范大学). / REN JINJIN, За независимость: Исследование образовательной мысли Юкичи Фукудзавы, Home | Nanjing Normal University (njnu.edu.cn). p.14.

37 – Tomida, Hiroko en Daniels, Gordon. Japanese Women: Emerging from Subservience, 1868–1945. Folkestone, Kent: Global Oriental, 2005. pp. 147–148

38 – Совастеев, В. В. Либерализм в Японии / Россия и АТР, № 1, 2004, сс. 33–36.

39 – رؤوف عباس: **التنوير بين مصر واليابان**، القاهرة ط 1، عام 2001 عن ميريت للنشر والمعلومات، ص 22.

40 – Tomida, Hiroko en Daniels, Gordon. Japanese Women: Emerging From Subservience, 1868–1945. Folkestone, Kent: Global Oriental, 2005. pp. 147–148.

41 – Мещеряков А. Автобиография Юкити Фукудзавы как репутационный ресурс /Интелрос [Электронный ресурс]. 20.02.2014. Режим доступа: https://www.intelros.ru/readroom/otechestvennye-zapiski/o1-2014/23219-avtobiografiya-yukiti-fukudzavy-kak-reputacionnyy-resurs.html (дата обращения: 23.07.2021).